

التركيبة النخبوية لمدن الكونفدرالية السرتوية

والمدن الكبرى النوميديّة

د. حموم توفيق

أستاذ محاضر

معهد الآثار

جامعة الجزائر 2

عند تفحص ودراسة النقيشات المتعلقة بالكونفيدرالية السرتوية نواجه إشكالية تحديد المؤسسات التابعة لمدينة سيرتا أو إحدى المستعمرات التابعة لها إداريا لكون النقيشات لا تفرق بينها من حيث الصيغة المذكورة عليها أحيانا، وتكون فردية أحيانا أخرى ولكن مع ذكر نفس أسماء الماجيسترا والموظفين الذين سبق ذكرهم في سيرتا أو في إحدى مدن الكونفدرالية.

شكل النظام الإداري والسياسي المعمول به في الكونفدرالية السرتوية خلال الفترة الرومانية نوع من أشكال الدولة ذات استقلالية معينة، ذلك من خلال انفرادها بهذا النمط الإداري في التسيير واتخاذ مدينة سيرتا كعاصمة تتمركز فيها كل المؤسسات العمومية المختلفة الضرورية¹.

السلم الشرفي الوظيفي للماجيسترا في هذه المقاطعة يعود إلى ما بعد سنة 26 قبل الميلاد²، وهو يتميز بخصوصيات تتفرد بها الكونفيدرالية، حيث نجد عوض الدومفير II VIRO التريومفير III VIRO الذي ينسبه البعض لأصول بونية، ويكون المقر الرسمي له في مدينة سيرتا، وتمتد مسؤوليته إلى كل المدن والقرى التابعة لها. نظرا لعدم إمكانيته في التنقل وحضور كل الاجتماعات المحلية لكل المدن في آن واحد، يخول مهامه لمفوض أو وال يستخلفه في تسيير الشؤون العامة في إحدى أو عدة مدن الكونفيدرالية في نفس الوقت ويدعى بـ: PRAELECTI IVR DICVNDI.

ينهي الماجيسترا سلمه الشرفي الوظيفي كما جرت العادة بوظيفة الكاهن الدائم، أما في سيرتا فينهيها بلقب وال لشباب مدينة سيرتا باستحقاق PRAELECTVRA IVVENTVTIS CIRT(ENSIVM)³.

قد تدلّ المنحنيات والنسب المتعلقة بالتركيبة النخبوية لمختلف المدن السرتوية والنوميديّة التي أدرجناها في آخر هذه الدراسة على الفارق البارز بين مختلف المدن والمستعمرات والبلدات، حيث نلاحظ أن بعضها قد كان قطبا كبيرا وجذابا للفئات والعناصر الثرية وذات النفوذ، لكن يجب الإشارة إلى أن البعض

¹ - BERTHIER, A., La Numidie, Rome et le Maghreb, Paris, 1981, p. 178.

² - نقيشة "قصر محببية" تذكر لنا دوومفير عادي في المستعمرة تراجع: ILAlg., II, 4226.

³ - GASCOU, J., « Les magistratures de la confédération cirtéenne », In BCTH n.s., T. 17, 1981, pp. 314-322.

منها لم تعطينا عددا كافيا من الكتابات والنصوص كمدينة ميلاف (ميلة) وشولو (القل) حتى نتمكن من الدراسة التحليلية والمقارنة بينها وبين مدن الكنفدرالية السرتوية، هذا عامل وجب علينا أخذه بعين الاعتبار والعمل به في مثل هذه الحالات.

شكلت الطبقة السيناتوروية الركيزة الأساسية لكل المدن، حيث أفرزت نصوص النقشيات لمدينة سيرتا⁴¹ عضوا يمثلون حوالي 19% من الطبقة السيناتوروية للمقاطعة النوميدية⁴، ذلك رغم الحركة السكانية وتاريخها الحافل والعريق عبر مختلف المراحل التاريخية، فيعتبر هذا العدد ضئيل جداً مقارنة بالعدد الكبير للكتابات المكتشفة بسيرتا.

كونها المركز الإداري لكل المدن التابعة لإقليم الكنفدرالية، من المنطقي أن يضاف إلى مجموعتها باقي الأعضاء المنتمين لهذه الطبقة المتواجدين في المدن والبلدات التابعة لإقليمها، ومن المؤكد أن هذه المجموعة قد لعبت دورا كبيرا سواء في إدارة شؤون مدينة سيرتا أو البلدات التابعة لها إداريا⁵.

تبقى معطيات مدينة كويكول متقاربة تقريبا مع معطيات مستعمرة ثاموقادي، حيث أفرزت نقشياتها نسبة معتبرة للطبقة السيناتوروية أين يصل معدلها بالنسبة للمقاطعة النوميدية إلى 13%، فهي كسابقتها مكرسة في أول الأمر لقداماء المحاربين، وضعيتها الإستراتيجية جعلت منها قطبا للمعمرين الجدد الذين جعلوا منها مدينة جميلة يطيب العيش فيها.

تبقى بعض المدن الكبرى التابعة للكنفدرالية السرتوية كروسيكادا وميلف فقيرة مقارنة بالمدن الكبرى الأخرى من حيث تمثيل الطبقة السيناتوروية، والتفسير لذلك هو أن الأشخاص ذوي النفوذ والسلطة يقيمون دوماً أو في غالب الحالات في العاصمة سيرتا، والموظفين والإداريين يقطنون حتماً بالعاصمة أيضاً.

حظيت طبقة الفرسان بامتياز جدّ هام حيث كان بإمكان الإمبراطور تعيين أحد الأشخاص من طبقة الفرسان الأكفاء ليدير مصالحه في إحدى المقاطعات التابعة له، كما يمكن للفارس الروماني أن يدير مقاطعة بأكملها⁶ وتعتبر هذه الطبقة السند الأساسي الذي يركز عليه الإمبراطور في المهام الخاصة

⁴ - فيما يخص القوائم الكاملة لأعضاء النخب المكونة لمجتمعات مدن الكنفدرالية السرتوية والمدن النوميدية الأخرى، يراجع: حموم توفيق، النخب الإدارية والاجتماعية للكنفدرالية السرتوية والمدن الكبرى بنوميديا أثناء الاحتلال الروماني (منذ سنة 46 قبل الميلاد إلى نهاية القرن الرابع الميلادي)، أطروحة دكتوراه في الآثار القديمة، جامعة الجزائر 2009، ص. 158.

⁵ - PFLAUM, H. G., *Onomastique de Cirta, Afrique romaine*, GASCOU, J., Op. Cit., pp. 17, 314-322. ; Scripta varia, I, Paris, 1978, pp. 161-198. ; Id., « Remarque sur l'onomastique de Castellum Tidditanorum », In BCTH., 1974, pp. 09-43.; CHASTAGNOL, A., « Les consulaires de Numidie », In *Mélanges d'archéologie, d'épigraphie et d'histoire offerts à Jérôme Carcopino*, Paris, 1966, pp. 215-228. ; KOTULA, T., *Les principales d'Afrique, Etude sur l'élite municipale nord-africaine au bas-empire*, Travaux de la société des sciences et des lettres de Wroclaw, ser. A, 226, Wroclaw, 1982. ; LEPELLEY, C., « La carrière municipale dans l'Afrique romaine sous l'empire tardif », In *Ktéma*, VI, 1981, pp. 333-347.

⁶ - PFLAUM, H. G., *Les procurateurs équestres sous le haut-empire romain*, Paris, 1950, p. 55.

والشرفية، لذلك فهو يدرجهم ضمن قوائمه الخاصة، ونحن نلاحظ أن أغلب المدن الهامة احتضنت عناصر معتبرة من طبقة الفرسان.

تأتي في المرتبة الأولى مدينة سيرتا بنسبة تصل إلى 35%، تليها لامبيز بـ 22% وهذا راجع لكونها مدينة عسكرية، بينما تبقى ثاموقادي بنسبة 21% وكويكول بنسبة 15% وهو عدد لا بأس به لفئة تقدر ثروتها على الأقل بـ 400.000 سيستارس⁷، ويقل عدد هذه الطبقة في المدن الأخرى: فقد أحصينا 5 أعضاء في روسيكادا و 09 فرسان في ثيليس وأنعدم وجودهم في ميليف.

أما فيما يخص أعضاء الماجيسترا فمعطيات النسب نلاحظها متقاربة جداً، حيث نجد في ثاموقادي 41%، كويكول 44%، لامبيز 17%، سيرتا 17%.

فمجيسترا سيرتا هم الذين يقومون بأهم الوظائف والمهام في كل إقليم الكنفدرالية، ولعل العدد الكبير النسبة المسجلة في مدينة ثاموقاديو المقدرة بـ 41% من مجموع المقاطعة النوميديّة يرجع أساساً إلى أن أغلبهم ذكرت اسمائهم على نص نقيشة "الألبوم" لأعضاء الكوريا⁸.

كان المواطن الروماني يطمح دوماً إلى اكتساب مهن دينية، وهذا شرف كبير يتباهى به أمام مواطنيه وكان كل رب أسرة يعتبر كاهناً عائلياً يقوم بالطقوس الدينية في إطار خليته الأسرية، فهو يطمح دوماً أن يكون كاهناً أو عرافاً أو شيء من هذا القبيل لعبادة وتأدية الشعائر الدينية لإله معين، ومن المستحسن أن تكون آلهة للمجمع الديني الروماني، وبما أن كل مدينة لديها معابدها هذا يعني وجود عدد كبير من أعضاء طبقة رجال الدين الذين يتفرغون لمهام دينية مختلفة.

كون الكنفدرالية السرتوية واسعة الإقليم، فإنها احتضنت بلا شك معابد عديدة لذلك كانت النسبة المقدرة بـ 23% من رجال الدين تمثل نسبة معتبرة لا تقل أهمية عن تلك المسجلة بـ ثاموقادي 27%، وبلا شك كان عدد مواطني مدينة سيرتا يفوق عدد مواطني ثاموقادي بحكم أنها عاصمة المقاطعة النوميديّة والكنفدرالية في نفس الوقت، إلا أن هذه الأخيرة (ثاموقادي) أفرزت عدد أكبر من طبقة رجال الدين، فهل هذا يعني أن المجتمع الثاموقادي أكثر تديناً من المجتمع السرتوي ؟

فالمسألة مرتبطة بدون شك بالموقع الجغرافي الاستراتيجي الذي شغلته كلتا المدينتان ومساهما التاريخي، كما يرجع الفضل أيضاً لكون مدينة ثاموقادي مازالت تحتفظ على آثارها الواضحة وكتاباتهما المترامية هنا وهناك، بينما مدينة سيرتا القديمة عرفت حركة عمرانية كثيفة طوال مختلف فترات التاريخيّة، وبذلك اندثرت بقاياها ونقيشاتها، وإلا لعثر على نصوص أخرى تزيدنا معطيات حول مختلف النخب في المدينة.

⁷ - CAGNAT, R., Cours d'épigraphie 4, Paris, 1914. ; BOURGAREL MUSSO, M., « Recherches économiques et sociales sur l'Afrique romaine », In Rev. Afr., 1934, p. 382.

⁸ - CHASTAGNOL, A., L'album municipal de Timgad, Bonn, 1978.

من ناحية أخرى نجد أن مدينة كويكول تعطينا نسبة 23% ومدينة لامبيز نسبة 16%، بينما تبقى عناصر هذه الفئة قليلة جداً في المدن الأخرى وربما هذا راجع إلى الأموال والقيم الرسمية التي يجب دفعها لتقلد مثل هذه المناصب، وبما أن أكبر الثروات المادية مركزة في المدن الكبرى فبطبيعة الحال أن أهلها يريدون المشاركة في الأماكن الأكثر تميزاً ونفوذاً.

وبشكل عام تظهر التركيبة النخبوية لكل مدينة من خلال الرسوم البيانية على النحو التالي:

- **الوظائف المدنية:** نلاحظ تكافؤ واضح من حيث المهن الممارسة، ومن المعمول به وحسب الإطار القانوني للسلم الإداري والنخبوي للطبقة السيناتوروية، أن الشخص لابد له بأن يمرّ بعدة مراحل أساسية ألا وهي: ممارسة مهنة مسؤول مالية "الكويستور"، ثم تقلد منصب مسؤول الحياة الثقافية والاجتماعية "أيديل" ثم يصبح مسؤول بلدي ثنائي "دومفير" وبذلك يصبح عضواً لطبقة مجلس الشيوخ "السيناتوروية"⁹ فنلاحظ أن جلّ هذه الوظائف المسار المهني مذكورة في نصوص نقيشتات مدن نوميديا المدروسة.

- **الوظائف الدينية:** من دون شك تسابق معمرو مدينة كويكول للأخذ بزمام الأمور فيما يخص الحياة والشؤون الدينية الخاصة بمستعمرتهم، ولو أن مجموعة الكهنوت مكونة من 41 عضواً وهي النسبة الأكثر تمثيلاً مقارنة مع باقي مدن المقاطعة، تعطي لنا فكرة ولو بسيطة حول الطقوس الكلاسيكية والمعابد المكرسة لآلهتها وأهميتها في يوميات مواطني المدينة، ويمكن اعتبار هذه الفئة من المواطنين البسطاء مقارنة بفئة الكهنة الدائمين الممثلين بـ: 33 عضواً، وهو لقب شرفي يحمله الشخص حتى بعد إنهاء مهامه، وهي مهام مخصصة للنخب التي أتمت السلم الوظيفي للمدينة أو لقدماء الضباط المحاربين¹⁰.

ولعل مهام كهنوت المقاطعة الإفريقية هي الأكثر أهمية وتشريفاً، بحيث لابد على المترشح دفع مبالغ باهضة وأن يكون ذو نفوذ سياسي واجتماعي، لذلك فهذه الشريحة يقل عددها وانتشارها في هذه المدن النوميديّة، ولدينا 03 في كويكول و01 في روسيكادا، و02 في ثيبيليس، و03 في تاموقادي و03 في سيرتا.

وما نلاحظه أيضاً أن فئة مجموعة الكهنوت العاديين هي الأكثر تمثيلاً في هذه المدن، كون هذه المهام لا تقتضي دفع مبالغ كبيرة وهي متاحة لعامة الناس، بينما يختلف الوضع بالنسبة لفئة الكهنة الدائمين، فالكاهن يكرس حياته وحياة زوجته للمعبد والعبادة الرسمية فقط، فهذه المجموعة تأتي في المرتبة الثانية من حيث العدد في هذه المدن، وبطبيعة الحال تكون الشهرة والمفخرة لهذه الوظيفة متوازية مع شهرة ومكانة المدينة التي يمتحن فيها، وبذلك تختلف المدن في قوانينها المحلية أيضاً فيما يخص دفع الرسوم والمبلغ الشرفي لتقلد هذا المنصب.

⁹ - LASSÈRE, J-M., Manuel d'épigraphie romaine, Vol. I, Paris, 2007, p. 315.

¹⁰ - حموم توفيق، المرجع السابق، ص. 161.

بطبيعة الحال تكون سيرتا هي المدينة التي تفرض على المترشح دفع مبالغ باهظة لنقل هذه المهام الشرفية، بينما يكون المبلغ بسيط وفي متناول الناس في المدن الثانوية الأخرى وذلك حسب مكانتها ووضعيتها القانونية كالمستعمرة ذات القانون الروماني كسيرتا أو ذات امتيازات أخرى للقانون الروماني كثيبليس، ويكون المستوى أدنى في البلديات الصغيرة كقصر محببية وتديس¹¹.

تعتبر فئة الرهبان طبقة مميزة جدًا وهي على أعلى الهرم والسلم للوظائف الدينية، حيث يعتبر الراهب كقاضي القدوسيات ويحفظ مقاليد الكتب الدينية، فهو الذي يملو يصحح ويراقب الكيفية التي تتم فيها الشعائر الدينية لمختلف الطقوس، وهو الذي يدرج رزنامة الأعياد الدينية والحرص على آدائها.

وما نلاحظه أيضا من خلال الرسوم البيانية أن غالبية هذه الشريحة تتمركز في المدن الكبرى، فعلى سبيل المثال : 04 في ثاموقادي، 11 في سيرتا، 01 في شولو، 19 في كويكول، 01 في لامبيز، 03 في روسيكادا، بينما يغيبون تماما في المدن الأخرى الصغيرة كسيقوس وكاستيلوم سيليتانوم وثيبليس وقصر محببية وتديس.

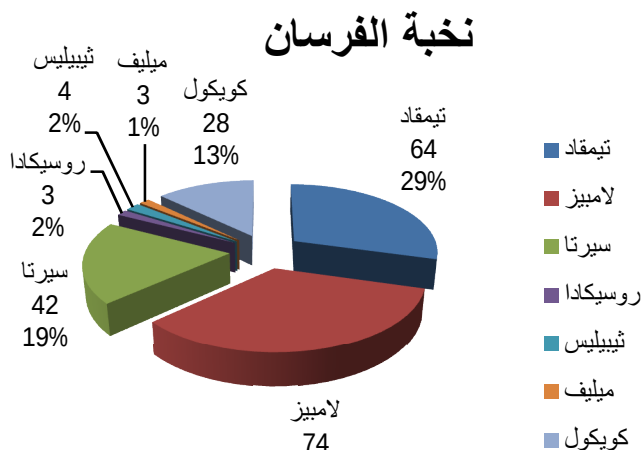
هل يعني ذلك أن مجتمعات الكاستيلا لم يكن لها أعضاء من فئة الرهبان ؟ لا يمكن أن نجزم بطريقة نهائية لكن من المحتمل أن تكون هذه البلديات تابعة إدارية وإقليميا لسيرتا بحيث هي ضمن الكنفدرالية السرتوية، فمن المرجح أن يكون الراهب يعمل جولات تفقدية موسمية على تلك الضيعات كما كان يفعله الوالي المستحق PRAEFECTVS IVR EDICVNDO في نفس الوقت¹².

بشكل عام لوحظ أن بعض المدن الكبرى استحوذت على النخبة من الطبقة السيناتورية وأعضاء الماجسترا وطبقة الفرسان وطبقة رجال الدين، وكانت النسبة عالية في كل من مدن ثاموقادي، لامبيز سيرتا، وكويكل بينما كانت ضئيلة في المدن الأخرى التابعة لإقليم سيرتا.

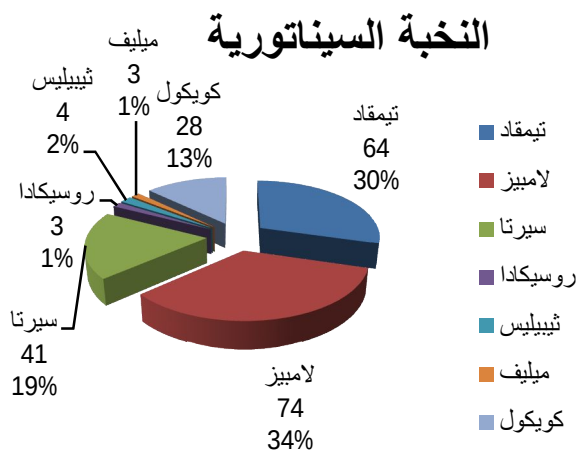
تبقى التركيبة النخبوية لكل الطبقات في مختلف المدن متكافئة وذلك واضح من حيث تعدد الوظائف والمهن الممارسة حسب الإطار القانوني للسلم الإداري.

¹¹ - BOURGAREL MUSSO, M., Op. Cit., p. 383.

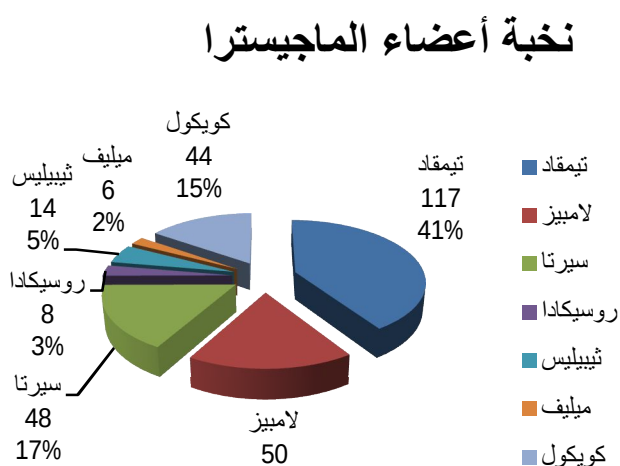
¹² - حموم توفيق، المرجع السابق، ص ص. 161-162.



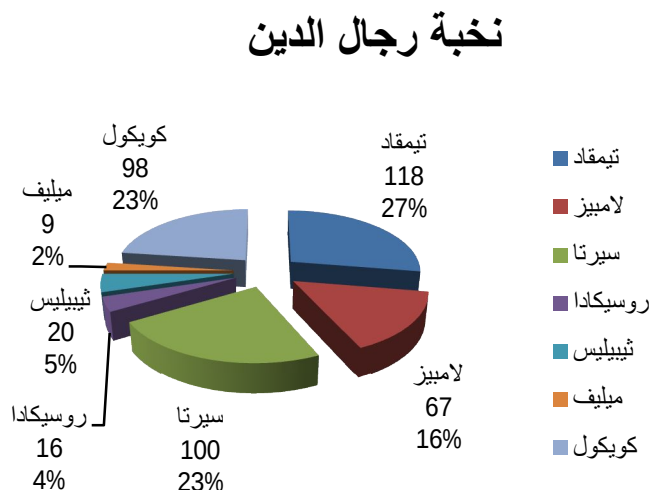
الشكل 02: رسم بياني يمثل عدد ونسب طبقة الفرسان
بمختلف المدن الكبرى النوميديّة.



الشكل 01: رسم بياني يمثل عدد ونسب الطبقة
السيناتورية بمختلف المدن الكبرى النوميديّة.



الشكل 04: رسم بياني يمثل عدد ونسب طبقة أعضاء
الماجيسترا بمختلف المدن الكبرى النوميديّة.



الشكل 03: رسم بياني يمثل عدد ونسب طبقة رجال
الدين بمختلف المدن الكبرى النوميديّة.